

صديقي المستمع، انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الأصحاح الثاني عشر من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد بدأ في هذا الأصحاح بالحديث عن السلوك اليومي للمؤمن في المسيح، وعلاقته بإخوته المؤمنين. فطلب أن يتغير المؤمنون عن شكلهم بتجديد أذهانهم، بأن تكون لهم مفاهيم روحية صحيحة. وأكد الرسول بولس أن المؤمنين جميعا هم أعضاء في جسد واحد في المسيح، وأن لكل مؤمن موهبة معينة. وتحدث عن بعض المواهب الروحية. ثم قدم بعض النصائح والإرشادات للمؤمنين في المسيح. فتحدث عن أهمية المحبة، وكره الشر، والصبر في الضيق، والمواظبة على الصلاة، وإضافة الغرباء. ثم ختم الأصحاح بالحديث عن موقف المؤمن تجاه مضطهديه وأعدائه، وضرورة أن يغلب المؤمن الشر بالخير.

لكن ما هو موقف المؤمن كمواطن تجاه السلطات المدنية؟ هل يحترمها ويطيع القوانين ويقوم بواجبه في دفع الضرائب؟ يجيبنا الرسول بولس عن هذه التساؤلات في الأصحاح الثالث عشر. كتب الرسول بولس في العدد الأول قائلا: "تخضع كل نفس للسلطين الفانقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله." يجب على المؤمن إذن أن يخضع للسلطات المدنية ويحترمها ويطيعها. والسبب لأن الله أعد ورتب وجود هذه السلطات لتقوم بتسيير أمور المجتمع. وهل نستطيع تصور مجتمع بدون سلطة تقوده؟ أو لا تعم الفوضى عندئذ؟

لا بل اعتبر الرسول بولس مقاومة السلطة المدنية عبارة عن مقاومة لترتيب الله للمجتمع. إذ كتب في العدد الثاني قائلا: "حتى ان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة."

وأضاف الرسول بولس في العدد الثالث قائلا: "فإن الحكام ليس خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان. افعل الصلاح فيكون لك مدح منه." هذا صحيح، لأن السلطة وجدت في المجتمع لتعاقب الذين يقومون بأعمال الشر والفساد. لهذا تلاحق السلطة المجرمين ومخالفي القوانين وتعاقبهم. بينما من يفعل الصلاح ويطبق القوانين لا يخاف من السلطة.

وتابع الرسول بولس شارحا ذلك، فكتب في العدد الرابع قائلاً: "لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشر فخف. لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر." لقد رتب الله بحكمته أن يكون لكل مجتمع سلطة تقوده في طريق الصلاح واستتباب السلام والأمن، وتطبيق القوانين. وعندما يفعل الإنسان الشر عليه أن يخاف، لأن السلطة تخدم الله في معاقبته.

ثم أضاف الرسول بولس سبباً آخر لضرورة احترام المؤمن للسلطات المدنية فكتب في العدد الخامس قائلاً: "لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضاً بسبب الضمير." إن المؤمن الحقيقي في المخلص المسيح لا يخضع للسلطة المدنية خوفاً من العقاب فقط، بل لأنه كمؤمن له ضمير حي. أي يجب عليه أن لا يفعل شيئاً معاكساً لضميره، بل أن يسلك دائماً في طريق الصلاح والخير.

ونتيجة لذلك كتب الرسول بولس في العدد السادس قائلاً: "فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً. إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه." إن خضوع المؤمن الحقيقي في المسيح للسلطة جعله أن يدفع الجزية قديماً. وهو يدفع اليوم الضرائب المطلوبة منه كمواطن للسلطة، لكي تقوم بواجبها في تطبيق القوانين، ورعاية مواطنيها في حياة آمنة وهادئة.

وختم الرسول بولس حديثه عن هذا الموضوع الهام في العدد السابع، إذ كتب قائلاً: "فأعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف. والإكرام لمن له الإكرام." يجب على المؤمن الحقيقي في المسيح إذن أن يعطي كل إنسان حقه. فيدفع الضريبة للسلطة. ويسلك بحسب القوانين المرعية، ويشترك في الانتخابات. ويقدم الخوف والإكرام لمن يجب أن يقدم له الخوف والإكرام. وبتعبير آخر يجب على المسيحي الحقيقي أن يكون مواطناً صالحاً يخدم بلده، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

لكن ماذا يحصل عندما تضطهد السلطة المؤمن بسبب إيمانه؟ على المؤمن في هذه الحالة أن يبقى مطيعاً للسلطة ومحترماً لها من جهة القوانين والضرائب المطلوبة منه، وأن يتحمل الاضطهاد بصبر وطول أناة وفرح، عالماً أن له رجاء عظيماً في السموات. وهذا ما فعله المؤمنون على مر العصور، فتركوا أثراً كبيراً على مضطهديهم.

لكن ماذا يكون موقف المؤمن بالمسيح عندما تخالف قوانين السلطة مشيئة الله؟ أي عندما تمنع السلطة المؤمن من الشهادة للآخرين عن اختبار الخلاص الذي ناله. ولقد حصل هذا للرسول الأوتل عندما أراد رجال الدين اليهود منعهم من الشهادة عن المخلص المسيح، فكان جوابهم: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس." ففي هذه الحالة فقط على المؤمن أن يطيع الله وأن يشهد للآخرين عن

عمله في حياته، ومهما كلفه ذلك من تضحيات وآلام. على كل لكل حالة وضعها الخاص التي يجب على المؤمن أن يسترشد فيها مشيئة الله.

يعود الرسول بولس للحديث عن موضوع المحبة الذي سبق أن طرحه في الأصحاح الثاني عشر، فيوضح مدى أهمية المحبة بالنسبة للمؤمن الحقيقي، فكتب ابتداء من العدد الثامن قائلاً:

"لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً. لأن من أحب غيره فقد أكمل ناموس. لأنه لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً للقريب. فالمحبة هي تكميل الناموس." إن الدّين الوحيد الذي يجب على المؤمن الحقيقي في المخلص المسيح أن يسدد حسابه دائماً هو دين المحبة. أي أن يشعر المؤمن أنه مديون للآخرين بالمحبة. وعندما يحب المؤمن يكون قد أكمل ناموس الله أو شريعته. والسبب لأن الذي يحب الآخرين فهو لا بد أن يسلك بحسب وصايا الله، ولا يؤذي الآخرين. ولهذا فهو لا يستطيع أن يزني أو يقتل أو يسرق أو يشهد بالزور أو يشتهي، لأن كل هذه الأعمال هي عكس المحبة. فالمحبة الحقّة تعني باختصار أن يحب المؤمن غيره من الناس بنفسه. وهل هناك من يرغب في إيذاء نفسه؟ إن المحبة لا تسعى لفعل الشر للآخرين، ولهذا أو نتيجة لذلك تعتبر المحبة تكميلاً لناموس الله.

وختم الرسول بولس الأصحاح الثالث عشر، بالقول: "هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة نستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمانا. قد تناهى الليل وتقارب النهار." إن كل يوم يمر يقرب المؤمن من موعد لقائه مع المسيح مخلصه. إما عن طريق استعلان المسيح في مجيئه الثاني الباهر، أو بواسطة انتقال المؤمن بالموت إلى السماء. لهذا على المؤمن أن يستيقظ من النوم ويكون مستعداً.

أما الاستيقاظ من النوم فيعني بالنسبة للمؤمن كما كتب الرسول بولس: "فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلباقه كما في النهار لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد. وصف الرسول بولس أفعال الشر بأعمال الظلمة التي يجب على المؤمن أن ينزعها من حياته بالكلية. وأن يلبس في نفس الوقت أسلحة النور، أي أسلحة البر والصلاح التي يقدمها له الله. لهذا يجب على المؤمن أن يسلك بالنور، وأن تكون أعماله مرئية أمام الآخرين كما في النهار، وليست مخفية وهكذا يبتعد عن كل ما هو فاسد وشرير، كالبطر والسكر والمضاجع والعهر والخصام والحسد.

ولكي يستطيع المؤمن أن يسلك في طريق البر والصلاح عليه كما قال الرسول بولس في العدد الأخير من هذا الأصحاح: "بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تديبيرا للجسد لأجل الشهوات." أجل يستطيع المؤمن أن يقهر أعمال الجسد الفاسدة، عندما يلبس كل يوم بالإيمان الرب يسوع المسيح. إن المخلص المسيح يحل في قلب المؤمن عن طريق الروح القدس، الذي يطهره من الداخل ويقوده في طريق البر.

نكون بذلك قد انتهينا من دراسة الأصحاح الثالث عشر من الرسالة إلى رومية. فإذا كنت صديقي لم تختبر بعد خلاص الله وغفرانه، تعال اليوم بتوبة صادقة وإيمان قلبي بشخص المخلص يسوع المسيح.